

دمية القصر

أيامه عُرِفَتْ فيها رئاستُهُ ... كجدول التبر يَسْقِي روضَ ديباج .
ثَنَاؤُهُ وَمَوَاضِيهِ وَنِعَمَتُهُ ... حَلِيٌّ لِأَيْدِي وَأَعْنَاقٍ وَأَوْدَاجٍ .
فَالْبَيْتُ بَيْتُ عُمَلَاءٍ وَالْكَفُّ كَفُّ نَدَى ... وَالنُّطْقُ نَطْقُ بَلِيغِ الْفَضْلِ مَحْجَاجٍ .
وَقَتَاهُ وَقْتُ نَدَى تَنْدَى غَمَامَتُهُ ... وَوَقْتُ بَأْسِهِ يُغَشِّيه بِإِرْهَاجٍ .
يَسْتَنْفِدُ الْوَصْفَ فِي أَدْنَى مَنَاقِبِهِ ... وَيَمْلَأُ الثَّنِيَّ مِنَ صُحُفٍ وَأَدْرَاجٍ .
مَآثِرُهُ كَاثَرَتْ حَمْرَ الذَّنَقَا وَمَحْتَهُ ... آيَ الدُّجَى وَارْتَقَتْ أَعْرَافَ أَبْرَاجٍ .
وَعُرَّةٌ مِثْلَ أَنْفِ الرَّعْنِ شَامِخَةٌ ... فِي بَحْرِ جُودٍ صَخُوبِ اللَّجْجِ عَجَّاجٍ .
مِنْ مَعْشَرٍ كَأَنْبِيْبِ الْقَنَاةِ سَمَتْ ... بِكَفِّ قَارِعِ حِصْنِ السَّابِقِ النَّاجِي .
ومنها :

أَلَسْتَ نَجَلًا فَتَى سَحَابِ أُرْدِيَةِ ... دَخَّالٍ نَقَعِ مِصَاعٍ مِنْهُ خَرَّاجٍ .
لَا يُوَصِّفُ الْعَبْدُ فِي أَحْشَاءِ بَدْوَتِهِ ... وَلَا تَحْمَلُ أَطْعَانٍ وَأَحْدَاجٍ .
ومنها :

هَذَا الْكَلَامُ الَّذِي تَذَكُّو غَزَالَتُهُ ... يَغْشَى سَنَا الْبَدْرِ فِي طَارِفِ الدُّجَى السَّاجِي .
فَخُذُوهُ كَالْفَجْرِ وَصَّاحًا مُقْلَدُهُ ... تَرِبَ التَّرْبِيَّةَ مِنْ بِيضَاءِ مِغْنَجٍ .
قَالَ يَرْتِي الشَّيْخَ الْإِمَامَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ الْجُوَيْنِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :
عُلُومُهُ عِلَالَتٌ أَعْلَامُهَا غَبِيرَاتُهَا ... وَأَعْيُنُ أَعْيَانِ طَغَّتْ عَبِيرَاتُهَا .
وَأَفْلَادُهُ أَكْبَادٌ مِنَ الْفَضْلِ فُتِّسَتْ ... فُؤَدٌ عَلَى تَفْتِيَّتِهَا زَفِيرَاتُهَا .
نَبَا بَلِيوْتِ الْغَابِ عُقْرَ غُيُولِهَا ... وَأُخْلِيَّ مِنَ عُفْرِ الْفَلَا سَمَرَاتُهَا .
أَبَى عَزَّ إِلَّا تَنْقُصًا ... مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى اسْتَقْلَعَتْ شَجَرَاتُهَا .
تَدَاعَتْ مَبَانِي الدِّينِ وَانْهَدَّ رُكْنُهُ ... وَدُهُودِهِ مِنْ أَطْوَادِهِ صَخَرَاتُهَا .
وَعَارَ ضِيَاءُ الشَّمْسِ فَاَنْكَسَفَتْ لَهُ ... شَمُوسٌ وَأَقْمَارٌ خَبِيَّتْ شَرَرَاتُهَا .
أَرَى عُمْبًا تِيْجَانُهَا قَدْ تَقَوَّضَتْ ... وَقَدْ عَصَبَتْهَا بِالثَّرَى غَبِيرَاتُهَا .
وَأَوْجَهَ أَقْوَامٍ كَرَامٍ عَلَى الْعُمَلَاءِ ... وَقَدْ رَهَقَتْهَا فَجَعَةٌ فَتَرَاتُهَا .
إِذَا شَقَّقَتْ أَجْفَانَهَا عَبِيرَاتُهَا ... تَشَقَّقُ عَنْ أَبْدَانِهَا حَبِيرَاتُهَا .
عَلَا الْحَيَّرَ عَبْدُ اللَّهِ صِهْوَةً سَابِقٍ ... قَوَائِمُهُ مِنْ مَعْشَرِ قَصَرَاتُهَا .
وَإِنَّ قُلُوبًا قُطِّعَتْ لَوْفَاتِهِ ... كَوَاتُهَا عَلَى تَقْطِيعِهَا حَسَرَاتُهَا .
ذَوْتُ دَوْحَةِ الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ وَالْعُمَلَاءِ ... بِمَصْرَعِ مَنْ جَذَّتْ بِهِ نَمَرَاتُهَا .

هوى نجمها العالى وأظلمَ جَوُّها ... ومادت رواسيها ومارتَ كراتُها .
ألا من لحافلٍ نَدَّ منه لُقد خلتُ ... نَوادٍ وعادتُ غَيبَةً >صَرَاتُها .
سلامٌ على المَنطيقِ في شُبُهاتها ... إذا ما رجالٌ عاقَها >صَرَاتُها .
برغم النَّوادي والمَجالسِ رُنُّ نَقتُ ... موارِدُها وارْتدَّ مِلحاً فُراتُها .
برغم الفَتاوى والمدارسِ هُوَّرتُ ... خواطرُهُ واستُنزفتُ خَطراتُها .
برغم العلا والدين والعلم والحجى ... ثوى البدرُ والبيضاءُ ضلَّتْ سَرَاتُها .
فيا وَيبَ أحداقِ طُمسُنَ بأدمعٍ ... غِزارٍ تَدَمَّتْ حُرقةً فَطَراتُها .
ويا وَيحَ أقدامِ عَثَرَنَ لِفَقده ... فلمَّا استقالتُ ثُبَّتتْ عَثَراتُها .
فجائعُ سالتُ بالخدودِ دماؤُها ... كذا وتَهاتوتُ في الحَشا جَمَراتُها .
لَخَفَّتْ مَثاقيلُ الرجالِ وأضَلَّتْ ... حُلوماً وطاشَتْ بعده وَقَراتُها .
وكان إذا ما حرَّرتْ كلماته ... معانيَ لم تَرَقُمُ سطوراً قُراتها .
وما ذاكَ فَهَمُّ المُستفيدِ وإنَّما ... سَنا نورَ تفهيمِ المفيدِ مِراتُها .
ومنها :